فمن المقطوع المحتوم أن الرسالة الربانية لم تكن مبتدأة من نوح عليه السلام ولم تكن الفترة - ما كانت - إلّا رسولية، لا رسالية، وأهمها ما كانت بين المسيح ومحمد عليهما السلام، وعلّ من قَبلهما ما كانت بين آدم وإدريس، وبينه وبين نوح عليهما السلام، وكلها فترات رسالية فحسب ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾(١).

وحين تفسر ولاية العزم لرسل - فيما تفسر - بأنهم جاؤوا بشرائع مستقلة غير تابعة لما قبلها، فلتكن شرعة آدم عليه السلام - لأقل تقدير - شرعة مستقلة، إذ ما كان قبلها من شرعة لهذا النوع الأخير، ولأن إدريس النبي كان أفضل من آدم عليه السلام فقد يكون حاملاً لشرعة مستقلة بعد آدم، وإن في توسع لأحكام، مهما لم ينسخ حكماً من شرعة آدم عليه السلام.

فمن الجواب لذلك السؤال العضال ما أوردناه في سورة نوح عليه السلام أن الرسل قبله جاؤوا بشرعة لا تزيد على تصليح الأحكام العقلية والفطرية، فهي - إذاً - تحمل سلبية إزالة الحجب عن الفِطَر والعقول وإيجابية تنويرات لهما عن أخطاء فيهما، إلّا أن الأحكام الفرعية لا مدخل فيها للفطريات والعقليات، اللّهم إلّا الفرعيات الثابتة في النواميس الخمسة التي لا حِوَل عنها، دون كيفيات خاصة لطقوس عبادية لا بدّ منها، موقوفة على بيان الله.

ومنه أن هذه الشرائع قبل نوح ما كانت واسعة شاسعة الأطراف، فإنما كانت تقضي حاجات بسيطة في البسيطة لساكنيها القلة القليلة، فما كانت - إذاً - تحسب أمام الشرائع الخمس في حساب شرعة، كما وأن الرسل قبل نوح عليه السلام ما كانوا أولي عزم كما كان أولو العزم من الرسل، فإن من ميزاتهم هي: سبقهم إلى الإقرار بالله، وعموم شرعتهم إلى عباد الله، وعزمهم في التصبر في الله، مهما كان منها - أيضاً - استقلالهم في شرعتهم

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

عما قبلها من شرائع الله، أماهيه من ميزاتهم المسرودة على ضوء آية الأحقاف.

فالحامل لمجموعة الميّزات الرسولية والرسالية هو من أولي العزم وهم الخمسة المعاريف كتاباً وسنة، ولم تكن الرسل قبل نوح عليه السلام لهم، ولا لإدريس النبي الذي هو أفضلهم، ولاية عزم رسولي ولا رسالي كما هي لأولي العزم.

فمهما كانت شرعة آدم عالمية، لم يكن يعدو عالمه بنيه، ثم ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[1]!، ومهما كانت شرعة إدريس عالمية - ولا برهان له - فلم يكن من السابقين في الإقرار بالله، فإنما تتبنى ولاية العزم عزمات دون أزمات فيهم أنفسهم وفي شرائعهم، التي تشكل الإمامة في الرسالة الربانية، فهم - إذاً - مجامع عزمات رسولية ورسالية قمة لحدّ أصبحوا لسائر الرسل - كما للمرسل إليهم - أئمة.

ذلك، ولأن الرسالة الربانية تحمل مثلثاً من الوحي: إزالة لغشاوات على الفطر والعقول، ثم تنويرات لهما قدر المعني لهما، ومن ثم أحكاماً فرعية لا سبيل لغير الوحي إليها، لأنها قضية العلم الطليق على كافة المصالح والمفاسد، كما ومنها قضية صالح الابتلاء كقصة ذبح إسماعيل، ولا سبيل إليهما للعلم فطرياً وعقلياً ومزيداً عليها حيث هما - على أية حال - محدودان.

فقد حملت شرعة آدم عليه السلام خاصراً غير حاصر من هذه الثلاثة، ومن ثم تفصيل في شرعة إدريس، ثم تفصيل كأولى مرحلة جامعة لشرعة من الدين، وإلى تفصيل القرآن العظيم.

إذاً فحمل شرعة قبل نوح عليه السلام لا يحمل ولاية العزم لحاملها مهما كان

(١) سورة طه، الآية: ١١٥.

له عزم في بعض الواجهات رسولية ورسالية، ثم لا شرعة مستقلة بين نوح ومحمد عليهما السلام إلّا لهؤلاء الخمسة، قضية إمامتهم على كلِّ الرسل في هذا البين، وعموم شرائعهم للعالمين ومنهم سائر أصحاب الرسالات والنبوات.

وترى كيف كان نوح بعيثاً على كلِّ المكلفين، ولم يجل بنفسه التجوال الرسولي بينهم؟ إنه تجوال رسالي بمن يحملونها عن أولي العزم من الرسل مهما أجمل عن ذكرهم في الذكر الحكيم.

وهنا سرد لدعوته بإجمالها وما عارضه قومه إلى غرقهم أجمعين إلّا من آمن به كإجمال قاصد إلى ملابسة عابرة ليست فيها التفصيلات التي ترد في مواضع أخرى، بل هو تصوير معالم رئيسية لهذه الرسالة وكما في هود وصالح، ولوط عليهم السلام.

وقد يعني ﴿قَوْمِهِۦٓ﴾ كافة المكلفين حيث الأقوام تختلف مصاديقها المعنية بمغازيها، فالأقوام الرسالية تعني الرساليين كما أرسل الله، ولأن رسالة نوح كانت عالمية فـ ﴿قَوْمِهِۦٓ﴾ إذاً كل العالمين المكلفين، وكما دعى على كفار الأرض أجمعين: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[1].

﴿فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ دعوة مبدئية توحيدية في حقل العبودية الموحّدة تحلّق على كافة الرسالات وهنا ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ﴾ نفي لجنس الإله كما في ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ استئصالاً لأية ألوهة لغير الله، لا أصيلة كما قد يزعم، ولا فصيلة خلاف ما يدعون.

ثم ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ تلحيقة للمبدأ بالمعاد، وقد يعني ﴿يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ إلى المعاد عذاب البرزخ وبينهما عذاب الطوفان، فـ ﴿يَوْمٍ﴾ هنا هو جنس ليوم العذاب العظيم، مهما اختلف عظيم عن عظيم،

(١) سورة نوح، الآية: ٢٦.

وفي مثلث العذاب الموعود، لكونه غيباً كله، تطوى دعوى الرسالة، وهي الأصل الثالث من أصول الدين فإنها بين المبدأ والمعاد، ثم والدعوة التوحيدية في جوّ الإشراك المطلق المطبق هي دعوى رسولية.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦ﴾ وهم أشراف القوم وخواصهم الذين يملأون بكثرتهم وقوتهم العيون والقلوب، وتمتلئ منهم صدور المجالس فهم المستكبرون من قومه، والملأ في الأصل بين ملأ الشر وملأ الخير ومن الخير: ﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾[1] ويقابلهم الملأ الأدنى وهم الشريرون المعارضون للرسالات على طول الخط، وهنا قالوا: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ حيث تخالف ما نعيشه من حياة الإشراك والحرية الشهوانية، ونحن أركان المجتمع وأصوله، فما يعارضنا - ونحن على هدى الحياة الراقية - إلّا من هو في ضلال مبين.

وكيف يواجههم نوح عليه السلام أمام رمية الضلالة وهي شرُّ رمية؟ إنه فقط سلب لها إيجاباً لرسالته من رب العالمين: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فلو كانت الرسالة الربانية - الثابتة لي بمثبتاتها - ضلالة، فأنا إذاً في ضلال مبين، لأن ربي مضل وأنتم على هدى! فهل أنتم مائلون إلى هذه الطنطنة الغوغاء، قائلون غائلون هذه الغائلة النكراء؟ وأنتم ترونه رب الأرباب!.

وترى كيف يجيب عن ﴿ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ بـ﴿لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾ دون ﴿ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ نفسه سلباً لما أثبتوه؟ علّه يعني بـ﴿ضَلَٰلَةٌ﴾ كلّ أنواعها لا فقط ﴿ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ فـ﴿لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾ من مبين وغير مبين.

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى﴾ دونما زيادة أو نقصان، وقد يعني جمع

(١) سورة الصافات، الآية: ٨.

﴿رِسَٰلَٰتِ﴾ دون «رسالة» الجمعية الرسالية، في جمعية الأصول والفروع الأحكامية، فإن كلَّ زاوية من زوايا الرسالة هي رسالة، مهما كانت مجموعها أيضاً رسالة، ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ لصالحكم ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ رسالة ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ منفصلين عن رسالة الله.

فقد اختصرت واحتصرت رسالة نوح عليه السلام في مثلث هو هندسة لصرح الرسالات كلها:

١ - ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى﴾ تبليغاً بليغاً بالحجج الربانية الكافية الوافية.

٢ - ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ نضجاً لبراهين الرسالة وفرامينها في قلوب بذلك النصح الرسولي الغالي، فللنصح دور دائر لكلّ حائر تبقى حيرته لحدٍّ ما بعد ساطع البراهين الآفاقية والأنفسية، وحقيقة النصح هي الإرسال إلى المصلحة مع خلوص النية.

٣ - ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وذلك لزامه الوحي فإن ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ تحلق على كلِّ أسباب العلم ومسبباتها، فالعلوم المنقطعة عن منقطع الوحي حاصلة لي من الله بالوحي، انقطاعاً إلى الوحي.

فهذه الثلاث و﴿أَوَ عَجِبْتُمْ...﴾ هي قواعد أربع لصرح الرسالة الربانية، إجابة عن شطحات كـ ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ رؤية عوراء حمقاء ترى من يدعو إلى الهدى في ضلال مبين، والواو العاطفة هنا تعطف إلى محذوف معروف في درج الكلام وهو سائر أسباب العُجاب.

وهكذا يبلغ المتعرف في الضلال في تبجحه الوقح المرح في انقلاب الموازين والضوابط.

وهذا ما يتقوله ضُلّال التاريخ منذ بدئه إلى جاهلية القرن العشرين أنهم أنفسهم متقدمون متحضرون على رعناتهم وحيوناتهم اللّامحدودة، ثم المؤمنون متأخرون رجعيون ضالون عن سبيل الحياة الراقية!.

هذه الجاهلية المتحضرة! تقول للفتاة التي لا تكشف عن لحمها وعورتها: إنها رجعية، كما تقول للشباب المؤمن الذي لا يسافد البنات كالحمير: إنه رجعي، وتقول لمن يترفع اهتماماته عن جنون السكر والأفلام الخلاعية، وجنون الرقص والحفلات الفارغة، تقول: إنه جامد ميت.

فالجاهلية هي الجاهلية مهما اختلفت شكلياتها وظروفها وملابساتها.

وهنا إجابة عن عجابهم الشباب ﴿أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾ عطفاً على سائر العجاب في مجيء ذكر من ربهم ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾ في رجولة البشرية، أعجبتم أن الله يهديكم سبيل الرشاد ﴿أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾ دون اختلاف عنكم في طبيعتها وقضيتها وجواذبها ونوازعها لكي تتم حجة الله عليكم في رسالة من هو ﴿مِنكُمْ﴾ قطعاً لكافة الأعذار، وأنساً بالمماثل ﴿لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: ﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾ عن بأس الله هنا وفي الأخرى ﴿وَلِتَتَّقُواْ﴾ عن محارم الله في الأولى ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ هنا وفي الأخرى، ولكن لا حياة لمن تنادي.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ شرَّ تكذيب، وبمختلف ألوانه: قالاً وحالاً وأعمالاً ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ في الإيمان مهما كان بعيداً عنه في القرابة ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَآ﴾ عامدين عاندين إذ ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا عَمِينَ﴾ في عمى وعمه وهم كانوا مستبصرين إذ: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ﴾[1].

وتمضي عجلة التاريخ الرسالي ويمضي معها السياق فإذا نحن أمام عاد قوم هود:

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٣٨.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾

وترى لماذا هنا ﴿أَخَاهُمْ هُودًا﴾ وفي تالية الآيات ﴿أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ و﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ وفي (٢٦: ١٦١) ﴿أَخُوهُمْ لُوطٌ﴾ وفي نوح هنا ﴿قَوْمِهِۦ﴾؟.

إن الرسل هم كلهم إخوان المرسل إليهم وهم كذلك إخوانهم وأقوامهم، فـ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾[1] تحلق القومية على كلّ المرسل

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٤.

إليهم، ثم ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾[١] تحلق الإخوة عليهم، مهما كان التعبير عنهم بـ«قوم» أكثر بكثير من «أخ» فقد لا نجد التعبير بالأخ عن أولي العزم إلّا في نوح، وعلّه لأن قومه كانوا قلة قليلة مجتمعة في قطر واحد معه، فكان عشيراً لهم في عشرة وسواها.

وفي صيغة الأخوة عنايات عدة بين نسب وحسب، فأقرب النسب هو الأخوة النسبية، وتليها الأخوة الرضاعية، كما وأقرب الحسب هو الأخوة الإيمانية، وبينهما مراحل أوسعها الأخوة في الإنسانية، ثم في التكليف، ومن ثم في الوطن والعشيرة والعشرة والشغل.

فكلُّ رباط بين أشخاص يعبر عنه بالأخوة، أغربها الأخوة في أصل الإنسانية وأقربها الأخوة في صالح الإيمان، ومنها متوسطات.

ثم القوم هم جماعة مرتبطة هي أوسع من خاصة الأخوة، فلا يعبر عن الأخوة في النسب بالقوم، وإنما على العشيرة والمواطنين أنسباء وغيرهم في متعود التعبير، وعلى الذين تعنيهم رسالة الله في شرعة التعبير، فالأخوة - إذاً - هي أعم من القوم، ولا يعبر بها عن القوم الرسالي إلّا إذا كانوا محصورين في قطر خاص كقوم نوح: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾[٢].

وعلى أية حال فلا تعني الأخوة هنا أخوة في إيمان، مهما كان في شركة التكليف أم سواها من مشتركات[٣] والقصد هنا إلى أقربها قرابة ومواطنة أماهيه، دون أغربها.

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ١٠٦.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ١٠٦.

(٣) نور الثقلين ٢: ٤٥ عن تفسير العياشي عن يحيى الهمداني عن أبيه جاء رجل من أهل الشام إلى علي بن الحسين عليه السلام فقال: أنت علي بن الحسين؟ قال: نعم، قال: أبوك الذي قتل المؤمنين؟ فبكى علي بن الحسين ثم مسح عينيه فقال: ويلك كيف قطعت على أبي أنه قتل المؤمنين؟ قال: قوله إخواننا قد بغوا علينا فقاتلناهم على بغيهم فقال: ويلك أما تقرأ القرآن؟=

وقد يُروى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه لما حضر نوحاً الوفاة دعى الشيعة فقال لهم: اعلموا أنه سيكون بعدي غيبة يظهر فيها الطواغيت، وأن الله عزوجل سيفرج عنكم بالقائم من ولدي اسمه «هود» له سمت وسكينة ووقار، يشبهني في خَلقي وخُلقي[(١)].

ثم «هود» يذكر في أربعة مواضع بثلاث سور، وقومه «عاد» في أربعة وعشرين موضعاً و(١٨) سورة، وصيغة الدعوة هنا وصبغتها هي نفس الصيغة والصبغة لنوح والذين أرسلوا من بعده إلى خاتم المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم والجواب والإجابة هو نفس الإجابة والجواب، فالرسل برسالاتهم هم سلسلة موصولة على مدار الزمن كما المرسل إليهم، وكأنهم في الأكثرية الساحقة تواصوا في تكذيبهم عليهم السلام: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ۝٥٣﴾[(٢)] ثم وقليل هؤلاء ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ﴾[(٣)].

هنالك في نوح ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ﴾ وهم كلُّ الملإ، وهنا في هود ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ﴾ فهم قسم من الملأ دون الكلِّ، ثم هناك في نوح: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ وهنا في هود ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ والجواب صيغة واحدة تسلب الضلالة والسفاهة عن ساحة الرسالة القدسية دون إرجاعها إلى هؤلاء الضّلّال والسفهاء، حيث

= قال: بلى قال فقد قال الله: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ﴾ [الأعراف: ٨٥] ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ﴾ [الأعراف: ٧٣] فكانوا إخوانهم في دينهم أو في عشرتهم، قال له الرجل: لا بل عشيرتهم، قال: فهؤلاء إخوانهم في عشيرتهم وليسوا إخوانهم في الدين. قال فرّجت عني فرّج الله عنك.

(١) نور الثقلين ٢: ٤٢ في كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده إلى علي بن سالم عن أبيه قال قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: . . .

(٢) سورة الذاريات، الآيتان: ٥٢، ٥٣.

(٣) سورة البلد، الآية: ١٧.

الدعوة الصالحة تتطلب تليّناً وجاذبية حتى تجد مسارح لتصديقها ومنافذ إلى تسريبها.

ذلك وعلّ فارق التعبير بين مواجهة قوم نوح عليه السلام إياه: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ وقوم هود عليه السلام بـ ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ علّه لأن كلّ الملأ من قوم نوح عارضوه اجتثاثاً لدعوته من أصلها، وإنها ﴿فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ جمعاً بين السفاهة والجنة والكذب، ولكن قوم هود لم يعارضه منهم إلّا ﴿ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ دون كل الملأ، ولذلك خف التعبير هنا عما هناك حيث اكتفي فيه بـ ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

وعاد هم قوم سكنوا أرض اليمن بالأحقاف وهي الكثبان المرتفعة على حدود اليمن ما بين اليمامة وحضرموت: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾[1] وقد يأتي نبأهم الفصل في «الأحقاف».

وهنا زيادة لهم بذكرى قوم نوح ليذكروا: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ بما غرقوا فجعلكم خلائف من بعدهم تخلفونهم في هذه الحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ﴿وَزَادَكُمْ﴾ عليهم ﴿فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾ في بساط الأرض حيث أبسطتم ببسطة في ﴿ٱلْخَلْقِ﴾ في أنفسكم وفي بساط الأرض إذ رزقكم أكثر منهم وبسطكم أزيد منهم ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا...﴾ استنكاراً لهذه الجيئة الرسالية ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من بأس الله ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ ﴿٧١﴾﴾ هو الكفر والكفران، كما ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾[2] أي

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٢١.
(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٥.